



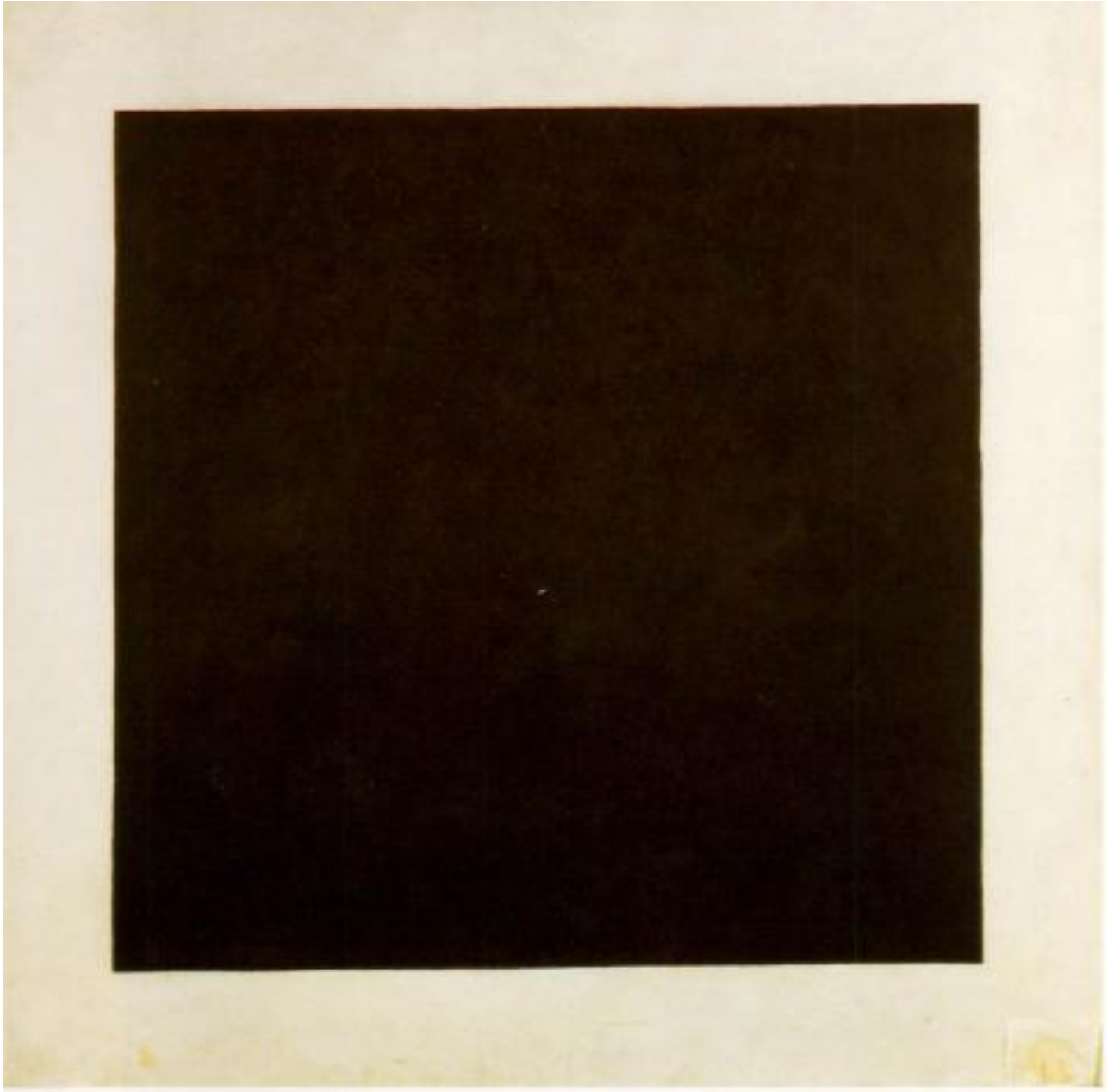
كازيمير ملفيتش: 100 عام على المربع الأسود

كم من الفنانين يعيشون اليوم أمثولة فنهم في مقابل الأبد وليس في مقابل المجتمع؟ تمار غيتر تعود الى المربع الأسود لملفيتش، بعد مئة عام على إبداعه

عمل منفرد كتبتها تمار غيتر فبراير 2, 2016

كان كازيمير ملفيتش أول من أطلق على مربعه اسم إيقونة. هذه رغبته وقد كانت مزدوجة أيضًا: إنتاج الأيقونة الأولى التي ليست أيقونة - مجردة وخالية من القداسة ومن أي مضمون ديني - وبالقدر نفسه فتحها على فضاء عالٍ من القداسة الجديدة. هذا ما يحدث حين نفهم أن "الفن ليس بحاجة إلينا، ولم يكن في أية مرة أبدًا بحاجة إلينا، منذ أولى اللحظات التي شغّت نجوم السماء فيها".

Malevich.black-square.jpg



[1] كازيمير ملفيتش، مربع أسود
1915

فيما يلي خلاصة الفكرة التي تقابل اليوم بازدراء: الفن الذي لا يشكل الانساني بعده المؤسس. كم من الفنانين يعيشون اليوم أمثلة فنههم في مقابل الأبد؟ مقابل الأبد وليس مقابل المجتمع... قلائل جدا. ومن يقرون ويصارحون بأن الأمر لديهم على هذه الشاكلة، يتم اعتبارهم فوراً كـ "دقة قديمة" أو باطنيين في أفضل الأحوال، ومعتلين اجتماعياً في أسوأها.

مع ذلك، فما أروع فهم ملفيتش هذا: الفن لم يكن في أية مرة أبداً، يقول، منذ أولى اللحظات التي شعت نجوم السماء فيها، بحاجة إلينا.

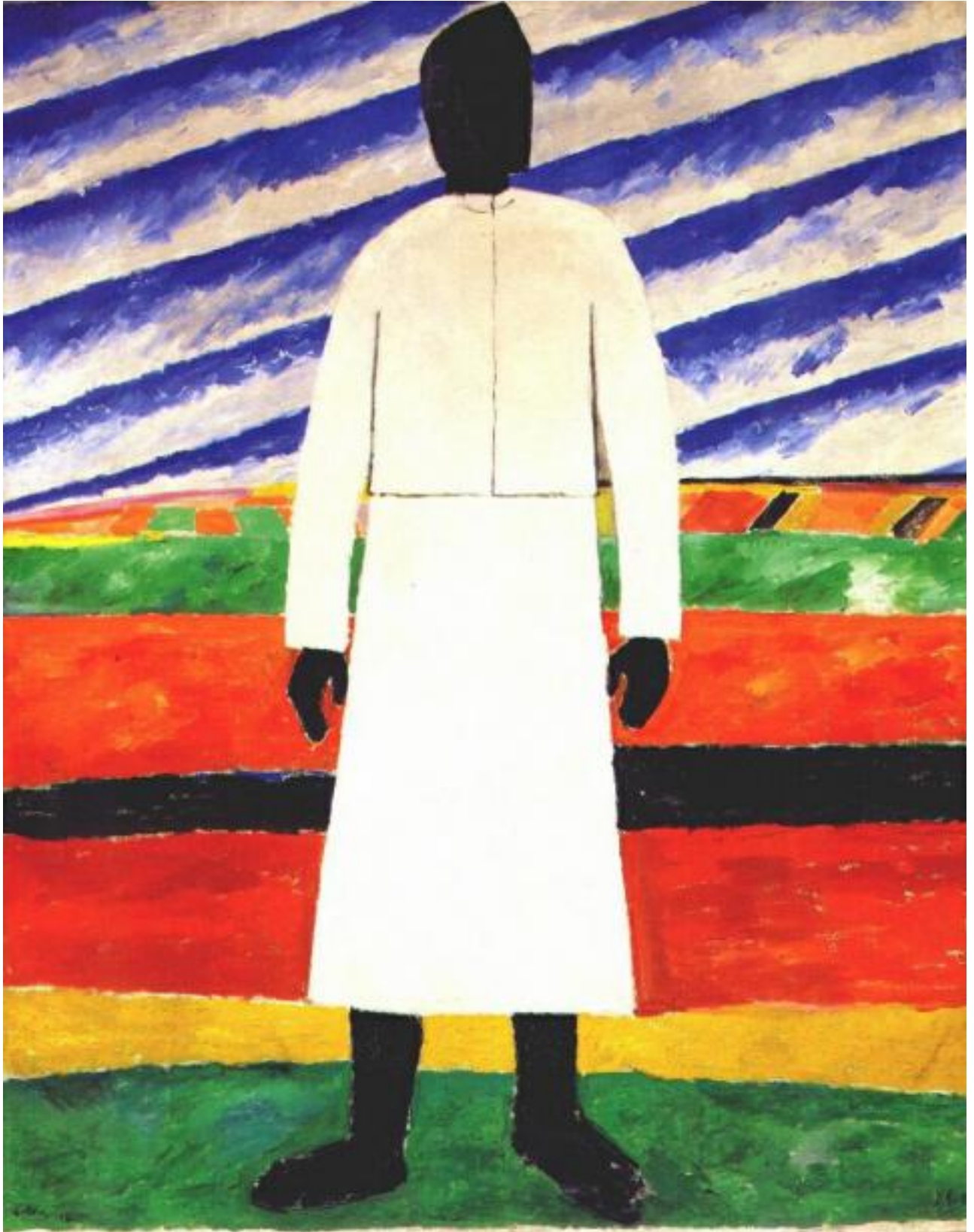
في أية مرة أبداً؟ منذ متى؟ لقد كانت القارات والعشب والحدائق، وفي اليوم الرابع، شعت الأنوار من اجرام السماء.

منذ ذلك الحين. لا أقل. لم يكن الفن منذ البدء بحاجة لنا. في حالة الفن نحن نتحدث عن سمو الحس الخالص. هذا يعني الاعتراف بالحقيقة الساطعة - كما يقول ملفيتش - أن خاصية رهافة الحس تكمن بكونها لا-شيء. هذ هي خلاصة المربع الأسود وبالقدر نفسه خلاصة فكر ملفيتش برمته، بما يشمل ملفيتش اللاحق في لوحات الفلاحين الملونة. يعتقد كثيرون بأنه خان نفسه بعد الثورة. العكس صحيح: الموضوع، المادة، الغرض، كل ما هو متخيل أو تمثيلي، كان ولا زال يصيب الفن في مقتل. الفن - ذلك المجرد أو الصوري، دون فرق - يُقتل بكل مرة يتم فيها تجاوز المعنى الوحيد الذي يمكن ان يكون لـ "العالم" في الفن: حين يكون الشكل حقيقي - فهو عالم بحد ذاته. إن لا-شيئية المربع الأسود تردد صدى صوته الرقيق، الدقيق والحاد، في مواجهة



القتامة الصلدة التي تميّز العتبة الفكرية لثقافة شبكية كاملة، وليس فقط بمواجهة التصويرية بحد ذاتها، كما اعتقد كثيرون.

[2] malevich-peasant-woman-c1928-30.jpg





[3] كازيمير ملفيتش، فلاحه (Woman Peasant)
1930-1928

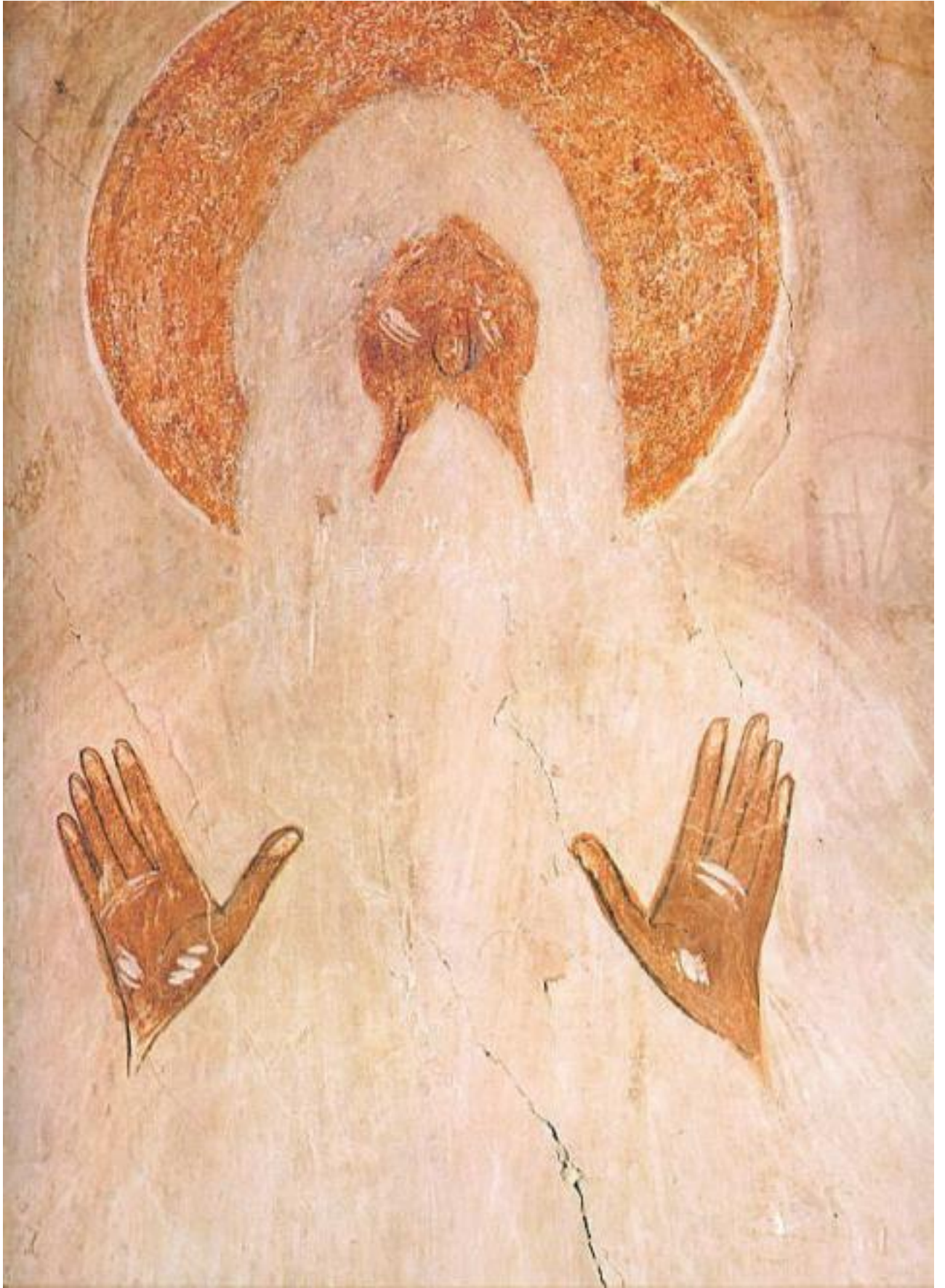
إن مصداقية "العالم" في الفن هي ثمرة القدرة على خلق أشكال ذات مصداقية حقيقية. المصداقية الكونية للشكل تنبع منه - الشكل هو تجسيد وتحول إلى مقياس. لغرض فحص مدى الخراب الذي خلفته ثقافة الشبكية التاريخية، كانت هناك حاجة إلى القدرة على إجراء القياس، في حين أن الانفعال، حب الحقيقة، الحس الأسمى - هي التي طرحت إمكانية هذه الرسمة السوداء. إنها تبلور الفهم بأن المقاييس ليست شفافة، فلا يوجد ما يمكن رؤيته من خلال المربع الأسود. ورهافة الحس الفنية - القدرة على تمييز الشكل الحقيقي عن الزائف - ليست مسألة تمثيل أو محاكاة؛ فليس لها مرجعية، ولا تشير إلى ما يقع خارجها. لذلك، فإنك تتحول رغمًا عنك إلى ثرثار حين تحاول التعبير عنها (تفسير وضبط أشكال الفن) في سيرورة إعادتها إلى "الوراء" أو إرسائها في واقع العالم اليومي. هكذا يسلك معظم المفسرين السابقين لملفيتش واللاحقين له، اليوم أيضًا، دون فروق كثيرة. إنهم يحاولون الخلق الاسترجاعي للخلفية (التاريخية، الاجتماعية، النفسية، القومية، الخصوصية وهلم جرا...) التي يتم من خلالها تبرير أشكال الفن، وعلاوة على ذلك: الخلفية التي تمنحها صك براءتها الأخلاقي.

إن الفكرة الحداثية الأساسية، بشأن خاصية القتل الرهيبة للعصب البصري (nerve optic)، لا تزال نسمعها منذ مئة وخمسين عامًا. هذا امر راهن على الدوام. حارق باستمرار. قلائل فقط من منتجي وأهل الفن يستوعبون هذه الفكرة فعلا. فكرة ما-فوق الزمني. لكن كل العظماء، ومنهم ملفيتش أيضًا، قد شعروا بها وعبروا عنها جميعا بطرق مختلفة. كلهم فهموا أن الخيال، الروح، الحس، تتعرض للتبخيس والتسخيف حين نصرّ على تصنيفها في خانات المدخلات-المخرجات (الفنان كـ"مراقب").

المربع الأسود لدى ملفيتش هو التمرد القاطع على هذا الارهاب، الذي يتحول الفن تحت سطوته إلى تافه، جيلا بعد جيل، وبأيدي محبيه بالذات! فكيف يمكن مرة واحدة وإلى الأبد إنتاج شيء "يهزّ المتذوق الخبير"؟ صورة بدون "أي شيء"، وعن "لا شيء".. مغلفة تماما ومفتوحة على "كل شيء". ملفيتش فعلها. بمعنى جدي، ريديميد، هناك لوحة واحدة فقط، وكذلك اللوحة التجريدية بمعناها السامي - هناك واحدة فقط.

بالأحرى، هناك اثنتان، واحدة سوداء وأخرى بيضاء...1

[4] [theo greek.jpg](#)



[5] القديس مكاريوس، لثيوفانوس اليوناني، لوحة جصية من الجدار الغربي
1374. كاتدرائية التجلي، شارع البانه، نوفغورود



لقد كان السوبرماتيزم، فكر لونيّ متوسط، وعندها - بعد حَمَل طويل - جاء الشيء، حين غمر ملفيتش عوالمه بأصباغ كثيرة وفارقة - رسومات الفلاحين بنمط "البابوشكا" الرائع. ليس هناك ثورة ولا إيديولوجيا طبعت في وعي حرة وجمالا ساميين أكثر من هذه الأقمشة المطلقة، التي يعود حَمَلها وولادتها الشرعيين الى المربع الأسود.

بمناسبة الحرية: ملفيتش، المنظر المتطرف الذي لا يعرف المهادنة، أحب كثيرًا أيضًا روبنس، لمن لا يعلم...

قدرة التدليل هذه، على الطرف، التأشير شديد الحيوية وشديد الهدوء على تجريد القياس - هو امر يتطلب حسًا مرهفًا وعاليًا. والسيرورة برمتها - من المربع الأسود وحتى رسومات الفلاحين، وبالعكس: منها الى المربع - هي الكشف المدهش والمفاجئ لشدة الحس وقدرة التشخيص الحيوية لدى ملفيتش. هل يمكن مثلاً تخيل موندريان يعود الى التصويرية؟ يبدو لي أن الاجابة سلبية. ابتداء من شدة تناقض المربع الأسود، ومساحة ومدى المشروع الفني المأمول - من اولى لحظات التمتع الكواكب في السماء - من اللات الاضغاء الى ما كان لدى ملفيتش ليقوله عن سابقه الحداثيين، الذي تمردوا بدورهم على العصب البصري. مثلاً، ماذا فكر عن سيزان؟ لقد اعتقد ان سيزان كان ضروريًا تمامًا، لكنه ريفي. أما التكعيبية التي غدّته بعمق هو ورفاقه في موسكو وبتروغراد، فقد اعتقد أنها لا تساوي أكثر من منهج جدلي. لذلك، من جهة ملفيتش، لم يكن لسيزان ولا للتكعيبية شي مهم يقدمانه بخصوص أمثلة قيمة حقيقة الابداع الفني. من ناحيته، لا يمكن لقصة الفن أن تكون قصة تكتيكية حول تقاليد ومناهضة للتقاليد. يبدو لي شخصيًا أنه لا يستحسن وضع سيزان والتكعيبين في رزمة واحدة. لكنها وصلت هكذا الى ملفيتش والمجموعات التي انتسب اليها في موسكو. في جميع الأحوال، الأمر هنا هو المطلق والأبدية.

عام 1927 صاغ ملفيتش الأمور بشكل دقيق. قيمة ووزن العمل، مكانة-حاجة-مصادقية أشكاله، ليست معايير لقوانين تاريخية، لا تخص بالمرّة مجال التاريخ. مثلما قال بصورة رائعة: "... منذ أولى اللحظات التي شغّت نجوم السماء فيها، لم يكن الفن أبدًا بحاجة اليها".

[6] [0.10_Exhibition.jpg](#)





[7] أعمال من السوبرماتيزم لكازيمير ملفيتش معروضة في معرض 0.10، بتروغراد 1915. (بالمناسبة، الصيغ الأولى للمربع الأسود أنتجت عام 1913)

هناك حديث، عديم المعنى برأبي، حول ملفيتش المعاصر، من باب الافتراض، أبو اللوغو، أو الشارة. لا جدوى من هذا الحديث. خسارة على الجهد. ملفيتش لا يتوطن بأي شكل في مجال السلع والتجارة. ولا ملفيتش الخاص بالمعيار والمعمار. إنه نبي هام وكبير جدًا، لكنه ليس نبي الـ CITY SMART المعاصرة.

رُفِع المربع الأسود وُثِّبَت تحت السقف، في زاوية غرفة عرض المعرض السوبرماتي الأول (0.10، بتروغراد، 1915). ومن هناك استحوذ على كل شيء مثبت تحته. إن الروس - وهذا خضع للفحص - مهما بلغت ثورتهم، فهم بحاجة الى تراتبية وحاكم في خاتمة المطاف. لكن ملفيتش كان بولنديًا.. كاثوليكيًا.. وقع اسمه بحروف بولندية فقط، وأضاف الى "كازيمير ملفيتش" كلمة "بولندي". في جميع الأحوال: إن موقع المربع الأسود هو موقع الأيقونة - المقدس البيتي، في قالب نظام البيت التقليدي للأرثوذكس الروس. لهذا السبب اختار ملفيتش هذا الموقع، لأن "الفن ليس بحاجة اليينا، ولم يكن في أية مرة أبدًا بحاجة اليينا، منذ أولى اللحظات التي شغّت نجوم السماء فيها".

• [1. المقصود طبعاً لوحة ملفيتش، أبيض على أبيض من العام 1918.](#)

Source URL:
<http://tohumagazine.server288.com/ar/article/%D9%83%D8%A7%D8%B2%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%B1-%D9%85%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%AA%D8%B4-100-%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A8%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF>

Links

- [1] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/Malevich.black-square.jpg>
- [2] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/malevich-peasant-woman-c1928-30.jpg>
- [3] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/malevich-peasant-woman-c1928-30.jpg>
- [4] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/theo-greek.jpg>
- [5] <https://tohumagazine.com/sites/default/files/theo%20greek.jpg>
- [6] <http://tohumagazine.server288.com/ar/file/010exhibitionjpg-0>
- [7] https://tohumagazine.com/sites/default/files/0.10_Exhibition_0.jpg